

بحث في الموسيقى الشرقية

للأستاذ تقولا الحداد



الموسيقى: فلسفة وعلم وفن... فهي إذن بنت الطبيعة والفكر والاجتماع، فلا بدع أن يعنى بها الفلاسفة والعلماء وأصحاب الفن ويضمروا لها قواعد وقوانين، بل هي أولى من كل ظاهرة كونية للدرس والتقرير والاستنباط

والصوت منذ القديم من قبل التاريخ مستند الإنسان في التعبير عن عواطفه وميوله وآماله. هو أصدق آلة للتعبير. فبالأحرى أن تكون الأنغام والألحان أداة لتفسير ما يطرأ على النفس من شعور داخلي. ولا بدع أن يتصدى علامة في الأنغام لشرح القوانين الموسيقية من جميع نواحيها، ويبحث البحث الفلاسفي في شؤونها، ويدرس المدرس الفن للأنغام والألحان والتطريب

لا بدع أن يتصدى لهذا البحث العلامة الأستاذ ميخائيل خليل الله ويردى فيؤلف كتاب فلسفة الموسيقى الشرقية في أسرار الفن العربي. ولعله من قبيل التواضع لم يقل فلسفة الموسيقى الشرقية والغربية على الإطلاق وكل ما يعت الموسيقى بسبب. وقد ملأ في هذا البحث نحو ٧٠٠ صفحة من القطع الكبير، وتواردت إليه رسائل من كبار العلماء وكبار الساسة وكبار السكهوت من أمم مختلفة من الشرق والغرب مثنين على كتابه. وكان أهم هذه الرسائل رسالة من العلامة العظيم جوليان هكسلي مدير مؤسسة اليونسكو العالمية يشكر له فيها مجهوده للبالغ في إخراج هذا الكتاب الفذ، ويده فيها أنه متى بلغ مشروع اليونسكو أشده سيميل على ترجمة كتابه هذا إلى اللغة الأكثر شيوعاً لكي تكون فوائده واسعة النطاق

وقد رد الميو جيم توريس جوده المدير العام لمنظمة اليونسكو على كتاب المؤلف المصحوب بنسخة من الكتاب الذي نحن بصددده وعلى نسخ من محاضراته عن الموسيقى في بناء السلام العام

يبلغه في رده أن المؤسسة العالمية لليونسكو مهمة الاهتمام العام الذي أثاره عمله لديها. وقد رشح الأستاذ خليل الله ويردى لجائزة نوبل، واهتمت هذه المؤسسة بهذا العمل الجليل، ووعدت بالانتفات الذي يستحقه عمله، وهي ترى أن ترجمة الكتاب إلى اللغة الإنجليزية أو الفرنسية يسهل عمل المحكمين. وحبذا لو تصدى أحد الأدباء للترجمة وخبر الأستاذ خليل المؤلف في هذا الشأن وافق معه على الترجمة. ولا ريب أن توشيح اليونسكو للمؤلف لدى منظمة نوبل هي خطوة شريفة قد تؤدي إلى الحصول على الجائزة التي ليست مقصودة بالذات من عرض الكتاب على المؤسسة؛ بل المقصود هو الحصول على هذا الشرف الكبير الذي سيقمعه به العالم العربي كله

الموسيقى العالمية

بحث الأستاذ خليل الله ويردى في الموسيقى عند جميع الأمم الغربية والشرقية الدنيا والشرقية القموى. وطرق الموضوع من جميع أبوابه ولم يترك فيه شاردة ولا واردة. وأمهه جدا في السلام الموسيقية على اختلاف أنواعها وأوطانها، لأن السلام هي نوى الموسيقيات وهي ينبوع الألحان وروح التطريب والعارب

السلام الموسيقي (أو الموسيقية) ليست غريزة طبيعية في أصل هذا الفن البديع الجميل، بل هي نزعة وطنية أو إقليمية. وليست من حتميات الطبيعة، إلا أن للسلام طرفين: قراراً وجواباً، وكل منهما ضد الآخر. وهذا ومن سنن الطبيعة أن يكون بين القرار والجواب تجاوب أو اتفاق في الاهتزازات الهوائية الصوتية بحيث يكون الثاني مضاعف الأول في عدد الاهتزازات، وبين الطرفين سلم يتدرج في نغمات يسميها بعض الموسيقيين مقامات. ويمكن أن يصمد السلم من جواب لجواب أعلى فيصير الجواب الأول قراراً للجواب الأعلى وهكذا دواليك. فيترقى السلم إلى سلام متوالية كل منها جواب لما نغمته وقرار لما فوقه. وقد ينتج من هذا الارتقاء سبع سلام على الأقل كما هو الأمر في البيانو الاختيادي

الدرجات السبع . في كلامها هذا العدد ٧ هو شيء طبيعي على الرغم من أن بين الدرجات سواء في الصوت أو في النور أجزاء درجات أخرى لا نحصي ، وهي سر تعدد الألوان كما هي سر تعدد الألحان ، ويظهر أن الذين اتفقوا على السبع درجات في سلم صوتي أو نوراني رأوا أن هذا الرقم مقدس ، لأن الله خلق فيه العالم واستراح في اليوم السابع

الانصاف والارباع

المعروف في جميع الوسيقيات الغربية والشرقية أن السلم سبع درجات يعتبرونها أصلية ، ويتفرع منها على قولهم أنصاف ، وفي الوسيق العربية أربع ، وربما أعان أيضا . وفي اليونانية ٣٢ . والحقيقة أن الدرجات ليست درجات متساوية ولا أنصافها حقيقية والأربع كذلك . وإليك البيان :

اهتزازات الأنصاف

٥١ ٥٧ لانصف لها ٦٨ ٧٦ ٨٢ لانصف هنا
دو ري مي فا سول لا سي در
اهتزازات السلم الأدنى ٢٤ ٢٧ ٣٠ ٣٢ ٣٦ ٤٠ ٤٥ ٤٨
و و الأعلى ٤٨ ٥٤ ٦٠ ٦٤ ٧٢ ٨٠ ٩٠ ٩٦
الفروق بين الدرجات الأصلية والأنصاف

٦ ٦ ٨ ١٠ ٦

في الفلسفة الطبيعية Physics ذبذبات أو اهتزازات درجات السلم الأصلية منحنية إلى أسفل سلم الاهتزازات في الثانية ، تتراوح الفروق بينها بين ٢ و ٥ كما رأيت فيما تقدم . وهو أمر يدل على أن الدرجات غير متساوية في الارتفاع والانخفاض . وليست هي أنصافا كما يزعمون . هذا السلم مدون في جميع كتب الطبيعيات لأنه هو هو بعينه في كتابين لؤافين أمريكيين مختلفين في الناحية . ولا أظن كتب الطبيعيات في أوروبا تختلف فهما من هذا القبيل

هذا السلم هو أوطأ سلم يمكن أن يسمع . ولا أدري إن كان ذا وقع موسيقي في الأذن إذا هزف . ولكي نرى نصف الدرجة عددا صحيحا نزلنا إلى السلم الذي هو فوقه ومعلوم أن اهتزازات درجات السلم الأعلى مضاعف اهتزازات درجات السلم

ونحن نرى النتائج أو المقامات باختلاف ذبذبات النور أو اهتزازاته ، أو اهتزازات عمود الهواء المنفوخ في القصبة أو أية أنبوبة موسيقية حين تمزق أو تنقر . والشيء الطبيعي في درجات السلم هو أن ذبذبات أية درجة هي مضاعف ذبذبات الدرجة التي تقابلها في السلم الذي تحته . وفي جميع الوسيقيات المعروفة في الغرب والشرق السلم ذو السبع درجات الأصلية ، وقد يتفرع منها أجزاء درجات كأنصاف وأرباع وأعان و٣٢ كما يأتي بيانه . ولانفناء عند القبائل الممجية سلم بسيط جدا قد لا تبلغ سبع درجات حتى ولا أربع درجات . والله أعلم

ولأدري إن كان تقسيم السلم إلى سبع درجات تقسيما طبيعيا . ولله طبيعي لأن للنور سلم موجية على مثال السلم الموسيقية ، وكل سلم نوراني هو جواب لما تحته وقرار لما فوقه إذا شئت هذا بذلك . لأن في الطائفة إشعاعا كهربائيا ذا موجات مختلفة الطول والعدد في الوقت . وهي موجات أميرية على حدة وموجات الهواء الصوتية . والموجات الكهربائية طبقات ؛ وكل طبقة هي مضاعف الطبقة التي تحتها في الموجات

ولنا أن نسمي كل طبقة كهربائية سلمها كالسلم الموسيقي . وفي الطائفة ستون سلمها كهربائيا ولست نلا نرى منها إلا سلم واحد هو سلم النور فقط والباقية اكتشفناها بالآلات المختلفة . ولا نعرف سلم النور إلا بألوانه الرئيسية السبعة من الأحمر (وهو الأسفل) والبرتقالي والأصفر والأخضر والأزرق والبنفسجي (وهو الأعلى) ، وموجاته هي مضاعف موجات الأحمر ، ولست نلا طول موجة الأحمر هي مضاعف طول موجة البنفسج ، ولهذا يبرهن مما في وقت واحد . على أننا لا نراها إلا لونا واحدا هو الأبيض ، ولا نراه إلا متحلا إلى ألوان السبعة إذا نفذ في زجاجة الوشور أو في قطرات قوس قزح . هذه الألوان السبعة ليست في الموجات الاثيرية بل هي في خلايا أدمفتنا البصرية ، فالخلية التي تنفصل من ذبذبة إحدى الموجات تصدر اللون المطابق لها . ولا نرى ما فوق البنفسجي وما تحت الأحمر إلا بواسطة آلات بصرية ، كالنور الذي فوق البنفسجي ، والنور الذي تحت الأحمر . وكذلك الأشعة السينية (أشعة رنتجن) . فبين الصوت والكهرطيسية تشابه غريب في عدد

نصف درجة توجد آلة تسمى صونوميتر تسجل اهتزازات كل صوت . وقد استنبط الأستاذ رديج صبره (من يبروت) وكانت حرفته المزف على البيانو في باريس مدة طويلة صونوميتر يسجل به اهتزازات الأصوات الموسيقية في جميع درجاتها . وقد جاء به إلى مصر يوم كان المؤتمر الموسيقي منمقدا فيها . وكان فرضه أن يسجل به اهتزازات درجات السلم العربية بجميع أنواعها وألحانها . ولا يخفى أن لكل لحن من الألحان العربية سداً خاصاً ، كالرست أو الحجاز كار أو العجا أو النهاوند إلى آخره كاسيأتي بيانه . ولا أدري إن كان الأستاذ صبره قد نجح في هذا الشروع

السلامة

تقريب الحداد

فأفك

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

إحدى روائع القصص السلي الراسي
لشاعر فرنسا الخالد « لاسرتين »

قص فيها بأسلوبه الشرى تاريخ فترة من
شبابه تدفق فيها حسه بالجمال وقاض بها شموه
بالحب . وهي كالآلام « فتر » في دقة الترجمة
وقوة الأسلوب طابت أربع مرات وتمنها

٢٥ رشا عدا أبرة البريد

الأوطا كما رأيت في الجدول هكذا ترى في البيانو مثلاً ليس بين « دى » و « فا » إصبع أسود ولا ترى بين « مى » و « دو » الأخرى (الجواب) إصبع أسود ، وأما بين بقية الأصابع الأخرى البيضاء أصابع سوداء وهى ما يسمونه أنصاف درجات وما هى أنصاف ، كما ترى أن الفروق بين الدرجات الأصلية البيضاء ليست متساوية هى ٦ و ٤ و ٨ و ٨ و ١٠ و ٦ في السلم كله ، ولا أدري كيف يتبرونها أنصافاً . على أن الذين يشدون أوتار البيانو أو يدوزنونها يتمدون على السماع لأن أوتار أعصابهم المممة تدوزنت على سلم البيانو أو السلم الأفرنسكى

وكذلك الذين يدوزنون الآلات الوترية العربية ، المود والكنجة والقانون ، يتمدون على آذانهم كما يتمدون عليها في المزف من غير اعتماد على علامات (نوتات) ، وهى مهارة مجيبة مدهشة لأنهم يعزفون جميع الألحان من غير الاستعانة بنوتات . وجل ما يحتاجون إليه في الدوزنة هو إما سفارة تصدر صوت نغم واحد يتمدونه درجة (دو) ويجرون عليه في ضبط سائر الدرجات اعتماداً على آذانهم أو يتمدرون على أداة معدنية ذات شمبتين فينقرون الشمبتين فتصدران صوتاً بحسبونه درجة دو

وأما في ضبط أبعاد الدرجات بعضها عن بعض (وأفى ضبط اهتزازاتها) فقد اعتمد الموسيقيون العلماء على قياس الوتر المشدود بحسب طوله ، فاعتبروا الوتر الذى طوله متر إذا مزف كان صوته دو . فإذا أمسك في وسطه تماماً كان صوت الذى يصدر من نصفه دو أخرى وهى جواب لدو الأولى ، ثم يقسم النصف إلى درجات حسب اصطلاحهم . وكان عند اليونان آلة لقياس الصوت تسمى مونو كورد أى ذات الوتر الواحد . ولا يخفى أن لقياس الشد حساباً لأن الوتر كلما اشتد ارتفع صوته ، لذلك ترى أن السلم غير متباعدة إلا في أن السلم الواحد هو قرار لما فوقه وجواب لما تحته على اعتبار أن اهتزازات الوتر في السلم الواحد مضاعف اهتزازات السلم الآخر أو أنصاف الاهتزازات التى فوق السلم الآخر كما تقدم البيان

ولاستخراج عدد الذبذبات أو الاهتزازات في كل درجة أو